

إسهام العلماء في الحياة الاجتماعية والثقافية بالجزائر في أواخر العهد العثماني.

د/ الزين محمد/ جامعة جيلالي ليابس / سيدي بلعباس

الملخص:

تُشير بعض كتابات الرحالة الأوربيين الذين زاروا الجزائر خلال الفترة العثمانية بأن الحياة الثقافية كانت مُتعثشة، وأن الحركة العلمية والأدبية كانت منبثة في جميع أرجاء البلاد⁽¹⁾. وكان الكثير من العلماء و الفقهاء و الأدباء ورجال الفكر قد تجاوزت شهرة بعضهم حدود الجزائر إلى غيرها من الأقطار العربية و الإسلامية.

وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية المتواضعة الوقوف على إسهام العلماء ودورهم في الحياة الاجتماعية والثقافية بالجزائر في أواخر العهد العثماني ؛ مبرزين جوانب من مآثرهم ومكانتهم الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية:

الرحالة الأوربيون - الجزائر - الفترة العثمانية - الحياة الإجتماعية و الثقافية - العلماء و الفقهاء و الأدباء و رجال الفكر.

Contribution of scientists to social and cultural life in Algeria in the late Ottoman period.

Summary:

Some writings by European travelers who visited Algeria during the Ottoman reign revealed that cultural life was

lively and that the scientific and literary activity was spread throughout the territory. The notoriety of most Ulema, men of Islamic jurisprudence (foukahaa), men of letters and thinkers went beyond the borders to settle in the Arab and Islamic countries.

We will try through our modest article to look at the contribution of ulemas and the role played in social and cultural life in Algeria at the end of the Ottoman era while highlighting their impact on society and the social status occupied.

Keywords:

European travelers - Algeria - Ottoman reign - social and cultural life - oulémas

1- العلماء⁽²⁾ ومكانتهم الاجتماعية:

لم تكن فئة العلماء وليدة العهد العثماني ولا هي ميزة خاصة بالجزائر دون بقية دول العالم الإسلامي⁽³⁾، ورغم أنها شكلت بالجزائر طبقة مميزة محترمة موفورة الكرامة، لهذا تقرب منهم رجال السلطة، وخشوا بأسهم لقوة تأثيرهم في الأهالي⁽⁴⁾.

كان رجال الدين هم العلماء بحق، فكل محدث أو فقيه أو مفسر يعد في نظر الناس عالماً ويلقب بـ "سيدي فلان"، وإن جمع بين عدة علوم فهو عالم تحرير وبحر غزير⁽⁵⁾. وقد قسم الدكتور أبو القاسم سعد الله العلماء خلال العهد العثماني إلى ثلاثة أصناف؛ العلماء الموظفون والفقهاء المستقلين لا صلة لهم بالتصوف، ثم العلماء المتصوفة، ثم المتصوفة دعاة العلم والولاية (المرابطين).

أما عن أجور العلماء فمدينة قسنطينة بجامع سوق الغزل كان يتحصل خطيبه على 100 ريال والإمام له 50 ريال، في حين جامع عين البيضاء بمعسكر يتحصل كل من الخطيب الإمام والمدرس على نفس الراتب وهو 40 ريالاً⁽⁶⁾. ومن خلال الوثيقة المؤرخة ما بين 1811-1813م نجد الأجرة الشهرية لكل من المفتي الحنفي 34 ريالاً والمفتي المالكي 20 ريالاً، أما القاضي الحنفي 25 ريالاً، والقاضي المالكي 10 ريالاً⁽⁷⁾.

ومن هنا نستنتج أن رواتب هؤلاء الرسميين تختلف حسب المكانة العلمية وحسب المكانة الاجتماعية، فإذا ما قارنا بين أجور علماء المذهبين نلمس فرقا واضحا حيث أن علماء الحنفية لهم أجر أعلى من أجر علماء المالكية، وهذا أمر طبيعي يرجع إلى مكانة العلماء الأحناف لدى الحكام الأتراك أصحاب المذهب الحنفي هم كذلك، وهذا ما يفسره تقلص الجهاد البحري وأرباح التجارة البحرية⁽⁸⁾.

هذا وكان لفئة المرابطين تأثيرا كبيرا على المجتمع الجزائري آنذاك، فكانت طاعة الجزائريين للمرابط طاعة لا يمكن تفسيرها، ولأنهم يقطنون بين القبائل فيعلمونهم الأخلاق ويفسرونها قدر المستطاع، وبقدر إدراك هؤلاء السكان، إنهم يعلمونهم الصلاة، ويهدونهم إلى مكارم الأخلاق، ومقابل ذلك يجنون الطاعة المطلقة المحفوفة بالاحترام. وتعتقد القبائل أن كل دعائهم مقبول عند الله الذي يؤمنون بقداسته وجلاله، وهكذا فعلى سخط أو على بركة المرابط تتوقف سعادة القبائل الخيالية، وكل من رغب في شيء فإنه يقدم القرابين، ويتوجه إلى المرابط لكي يأمل في تحقيق ما تمنى، أما الذي تلاحقه الشرور فإن إيمانه ناقص وإنه المذنب الذي يعاقبه الإله⁽⁹⁾.

إن كلمة المرابط مشتقة من كلمة ربط العربية التي تعني الالتزام والتعهد⁽¹⁰⁾، أي أن المرابط يعاهد الله ألا يتصرف إلا لما فيه خير الإنسانية، ولذلك فحتى عند موتهم يبقى هؤلاء المرابطين محل توقير دائم⁽¹¹⁾.

وأحد أشهر المرابطين في ذلك العصر والذي كان يتمتع بأكبر احترام وثقة يدعى "سيدي علي بن عيسى"، ويسكن قرومة ضواحي مدينة الأخرية، وهو من مرابي المرابط الشهير المسمى سيدي محمد بن عبد الرحمن، ولقد أحرز هذا الأخير في حياته أكبر شهرة يمكن تصورها في الطهارة، وانتقلت هذه الشهرة حتى إلى مدينة الجزائر وأوساط القبائل الذين يسكنوها، وقد مات في نهاية القرن 18م، ودفن في الحامة⁽¹²⁾.

هذا وقد حظي أغلب الأولياء (المرابطين) بأوقاف خصصت للإنفاق على أضرحتهم، وهذا ما دفع بعض الكتاب إلى القول بأن قباب الأضرحة⁽¹³⁾ ومزارات الأولياء أصبحت تنتشر في كل مكان، وهذا يدل على الاحترام والوقار الدائمين الذي يكنه الناس إلى هذه الفئة وعلو مكانتها⁽¹⁴⁾.

وأحسن دليل على هذا التطور الذي عرفته الأوقاف في الجزائر العثمانية، نستخلصه من وضعية أوقاف سيدي عبد الرحمن الثعالبي⁽¹⁵⁾ التي لم تتجاوز منذ أواخر القرن الخامس عشر وحتى بداية القرن السادس عشر أحد عشر وقفًا، ثم ما لبث أن تزايدت بعد أن اكتسب صاحبها شعبية وصيتًا في أوساط الأهالي منذ أواخر القرن الثامن عشر، حتى أصبحت عشية الاحتلال الفرنسي يناهز عدد أوقافها 82 وقفًا، منها ما كان يأتي من خارج الجزائر، بدليل أن تونس كانت ترسل كل سنة حمولة زيت لفائدة الضريح⁽¹⁶⁾.

2- أعلام مدينة معسكر:

أنجبت مدينة معسكر وسهل غريس والوطن الراشدي علماء أجلاء وفقهاء ومحدثين، ومقرئين ومؤرخين، وكتاب سير، وشعراء ورحالة. وبرزت عائلات بحالها توارثت العلم، والوظائف العلمية كعائلة الخروي وعائلة المشارف وعائلة أبي راس الناصر. كان لعلماء معسكر دور رائد في النهضة الفكرية والثقافية، وحركة التأليف، والتدريس والقضاء، والإفتاء والوعظ، والإرشاد الديني والثقافي والاجتماعي⁽¹⁷⁾، نذكر منهم على سبيل المثال أحمد بن سحنون الراشدي (توفي بعد عام 1211هـ / 1796م)، نشأ بمعسكر، وترك خلفاً لكتابه الذي اشتهر به وهو الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، الذي يعتبر من المراجع الأساسية للتعرف على الحياة الثقافية والاجتماعية للغرب الجزائري- كتابا آخر عنوانه عقود المحاسن⁽¹⁸⁾.

والشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمان المعروف بابن زرفة الدحاوي⁽¹⁹⁾ واحد من شرفاء غريس، وقد كان من ضمن تلاميذ الشيخ العلامة الحافظ أبي راس الناصر المعسكري، ومن أشهر مؤلفاته "الرحلة القمرية في السيرة الحمديّة"، و"الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء" لخصه "أرست ميرسي" ونشره في مجلة روكوي القسنطينية عام 1889م، عين قاضيا بعد تحرير وهران إلى أن توفي بوباء الطاعون عام 1215 هـ / 1800م-1801م⁽²⁰⁾.

ومن أشهر علماء معسكر الشيخ أبو راس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن ناصر الجليلي المعسكري (ت1238هـ/1823م)، درس في الجزائر على الكثير من رجال العلم منهم الشيخ الحافظ محمد الصادق آفغول، وقاضي الجزائر محمد بن جدعون والمفتي أحمد بن عمار⁽²¹⁾.

اشتغل بالتعليم وتولى القضاء ثم الإفتاء ثم خلف بعد (1217هـ) أستاذه عبد القادر المشرفي في إلقاء الدروس، وقد بلغ عد طلبته في الحلقة سبعمائة وثمانين مستمعا، حتى وافته المنية سنة (1238هـ/1823م). وقد أبنه محمد بن يوسف الزباني في دليل الحيران بقوله: ((وفي وقته أي زمن الباي حسن آخر بايات وهران مات مجدد القرن الثالث عشر ذو التأليف العديدة والتصانيف المديدة الشريف الأجد، العلامة الفرد الحافظ أبو راس محمد))⁽²²⁾.

اشتهر أبو راس بالتأليف العديدة التي اعتمد فيها على الحفظ والنقل والرواية، فقد ذكر عن نفسه أن ما ألفه بلغ 63 كتابا ونسب إليه 137 مصنفا في مختلف الأغراض بين كبير وصغير، وبين تأليف وشرح وشرح وتعليق وتلخيص.

وقد ذكر أبو حامد المشرفي أن: ((تأليف شيخه أبي راس أو شكت أن تزيد على عدد أيامه... فهو قد ألف في سائر الفنون، فهو أشبه بأسد الفرات في غزارة علمه وإطلاعه على المذهب المالكي...)). وقال عنه ابن سحنون الذي تتلمذ عليه بأنه: ((

متقن لجميع العلوم عارف بالمذاهب الأربعة لا يسأل عن مسألة إلا ويحجب عنها بدهاة،
كأنها حاضرة بين شفتيه...)).

ومن أهم تأليف أبي راس الناصر في السير والتاريخ والأخبار والتاريخ الخاص
والعام؛ درء الشقاوة في حروب درقاوة، زهرة الشماريخ في علم التاريخ، الحلل السندسية
في شأن وهران والجزيرة الأندلسية وشروحها، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي
ونعمته، الخبر المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم، ما رواه الواعون في أخبار
الطاعون، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار⁽²³⁾.

3- أعلام مدينة وهران والغرب الجزائري:

أنجبت وهران العديد من العلماء في شتى العلوم نذكر منهم على سبيل المثال لا
الحصر، مسلم بن عبد القادر الوهراني (ت1248هـ/1832م)، ويعتبر من ذوي المعرفة
بالعلوم الفقهية والفنون الأدبية. فقد ذكره أبو راس الناصر بقوله: ((إن مسلم من أجل
أدباء هذا الزمان وأحرزهم لنصب السبق في هذا الميدان، ويعني موضوع الحكم والمواعظ»
وأشار إليه الطاهر بن حواء في زهر الآداب بقوله: ((أمت وهران بقصد أن أجد بها من
تخط لديه رجال المعاني والبيان... وذلك على سيدي مسلم بن عبد القادر... ولما
وصلت رحب بي فناثرته وناظمته فأعياني))⁽²⁴⁾.

ينسب إلى الشيخ مسلم بن عبد القادر عدة تصانيف منها: "نظم الجواهر في
سلك أهل البصائر" وهو شرح لمفردات لغوية وإيضاح لحكم منظومة، وضعه مرتبا على

حروف المعجم وجعل فصوله عدد منازل القمر حسب قوله وطلب من أبي راس الناصر أن يشرحه. فوضع له هذا الأخير شرحاً مختصراً بعنوان ((إسماع الأصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم)) وقد جاء في مقدمة هذا الشرح : ((أن السيد مسلم بن عبد القادر... قد أتى من درر النظم والنثر ما يقصر عنه أهل العصر... فسار فيه على ما يقتضيه المقام من المواعظ المبكية والمفاكهات أو يدل على أسلوب البلغاء في بعض المطارحات...)).

وقد عرف بتأليف طريف في التاريخ بعنوان "خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف وال نوادر"، وقد ركز فيه على أخبار وهران وناحيتها في الخمسين سنة الأخيرة التي سبقت الاحتلال الفرنسي (1248-1192هـ/1778-1832م) وحاول فيه الإمام بما حدث في عهد البايات المتأخرين وهم على التوالي: محمد الكبير، وعثمان بن محمد الكبير، ومصطفى بن عبد الله العجمي، ومحمد بن عثمان المعروف بالملقش، والفترة الثانية لمصطفى بن عبد الله العجمي، ومحمد بن عثمان المعروف ببوكابوس، وعلي قاريغلي، وحسن بن موسى⁽²⁵⁾.

ومن أشهر أعلام تلمسان أبو العباس أحمد بن محمد بن هطال التلمساني، تولى الكتابة لدى الباي محمد الكبير باي الغرب وأصبح من مقريه ومستشاريه. وبعد وفاة محمد الكبير (1212هـ/1798م) حافظ ابن هطال على منصب الكتابة لدى ولده وخلفه عثمان باي، وظل في هذا الوظيف عند تولي الباي مصطفى بن عبد الله باي بك الغرب (1215هـ/1802م) وقد صاحبه في حركته ضد الشريف الدرقاوي وأتباعه⁽²⁶⁾،

وكانت وفاة ابن هطال في معركة "فرطاسة" ما بين وادي مينا ووادي العبد والتي وقعت سنة 1219هـ/1804م بين الأتراك وابن الشريف الدرقاوي، وله من المؤلفات "رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري"⁽²⁷⁾.

والشيخ محمد بن علي أبو طالب المازوني من العلماء المشاهير ومن أعلام منطقة غليزان، من أعماله العلمية شرحه القصيدة (الصغرى) للشيخ السنوسي التلمساني⁽²⁸⁾.

4- أعلام مدينة الجزائر:

هذا وقد انتشرت الحركة الثقافية من تأليف في شتى العلوم، وازدهرت حلقات العلم بمدينة الجزائر، ومن العلماء الذين اشتهرت بهم: علي بن عبد القادر بن الأمين (ت1236 هـ/1821م)، علوي النسب، أندلسي الأصل جزائري الدار، مالكي المذهب، شاذلي الطريقة. كان من أعيان العلماء في عصره، درس بمسجد حسين ميزومورطو بالجزائر العاصمة، ونال الإجازات والروايات من علماء المشرق والمغرب، ومن تلاميذه بمدينة الجزائر مصطفى بن الكبابطي، ومن مؤلفاته: "إتحاف ذوي الألباب بفضل الخطاب، و"حاشية على مختصر السعد"⁽²⁹⁾.

إضافة إلى حمدان بن عثمان خوجة (ت1261هـ/1845م) الذي ولد بمدينة الجزائر، من أسرة حضرية عريقة ذات ثروة وجاه، وكان أبوه فقيها مقربا من السلطة الحاكمة بالجزائر. زار بعض أقطار المشرق العربي وأقاليم البلقان، وفي طريق عودته من

احدى رحلاته نزل مدينة تونس عام 1801م، وتعرف على معالمها، وحظي بحفاوة حاكمها حمودة باشا الذي حضر مجلسا له كان يشكو فيه من تصرفات الجزائريين بتونس⁽³⁰⁾.

كان حمدان خوجة على دراية بمسائل الأصول وعلم الكلام والمنطق والتاريخ والطب، وأكسبته أسفاره العديدة معرفة أولية باللغتين الإنجليزية والفرنسية، كما ساعده اغترابه عن الجزائر مدة سبع عشرة سنة قام خلالها بالعديد من الجولات في الأقطار الأوروبية مثل انكلترا وبلجيكا وسويسرا وفرنسا واليونان على توسيع مداركه وإثراء ثقافته واطلاعه على قضايا العصر وطبيعة الحياة في هذه الأقطار⁽³¹⁾.

كتب حمدان خوجة العديد من الرسائل والمصنفات، عرض فيها قضايا سياسية ومسائل فقهية موضحة فيها موقفه من الأحداث التي عاشتها الجزائر. ومن رسائله أيضا "تقايد على كتاب حمدان خوجة" وترجمة رسالة الشيخ حسين الشرنيلالي (ت1659م)، و"نور الإيضاح ونجاة الأرواح" في الفقه الحنفي إلى اللغة التركية تحت عنوان "أمداد الفتاح"⁽³²⁾.

كما له تأليف في القضايا التي تتصل بالعقيدة وقضايا المجتمع منها رسالة "حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبدع"، تأثر فيها بأبي حامد الغزالي، ورسالة أخرى عن مرض الوباء، ألفها باستانبول وهي بعنوان "إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء". على أن العمل الذي يشتهر به حمدان خوجة وعد له ممن أغنوا

التراث التاريخي للجزائر هو كتاب "المرآة" الذي وصلتنا ترجمته الفرنسية الصادرة بباريس عام 1833م بعنوان لمحة تاريخية وإحصائية عن نيابة الجزائر المعنون بالمرآة "Aperçu historique et statistique, intitulé: Le Miroir" يتألف من ثلاثة عشر فصلا، تناول فيه مختلف أوضاع الجزائر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية⁽³³⁾.

5- أعلام منطقة زواوة:

كانت منطقة زواوة منارة للعلم والمعرفة، وازدهرت بالعلوم خاصة الدينية منها على أيدي العلماء والمصلحين، من أبرزهم الزواوي (ت1221هـ/1806م) فاضل صوفي له "الوظيفة المحمدية لأهل الطريقة المعازية"⁽³⁴⁾. والطيب الزواوي (ت1251هـ/1836م) وهو أحمد الطيب بن محمد الصالح بن سليمان العيساوي الزواوي، فقيه مالكي، ناظم له "الدرة المكنونة" و"أرجوزة في عقائد التوحيد" و"تكملة الفوائد في تحرير العقائد" وهي شرح على أم البراهين، و"مفتاح الأحكام" وهي منظومة أحكام الفتوى تقرب أبياتها من الألفين، و"تذكرة الحكام" شرح مفتاح الأحكام، و"نصرة الإخوان في إحجاج الفقهاء بالبرهان" وهي أرجوزة، و"منهج الوصول" أرجوزة في علم الفرائض، و"مفيد الطلبة" شرح الأجرومية في النحو، و"القرة العصرية" في أحكام الفتوى⁽³⁵⁾.

6- أعلام مدينة قسنطينة والشرق الجزائري:

من أشهر العلماء الذين أنجبتهم قسنطينة في هذا العصر عبد الرحمن باش تارزي (ت1222هـ/ 1807م)، وكان ممن جمع بين العلم والتصوف ومن مؤلفاته: "غنية المرید في شرح منظومة مسائل التوحيد" وهي 45 مسألة⁽³⁶⁾.

ومحمد الحفصي القسنطيني (ت1226هـ/1811م)، فاضل له مشاركة في علم المنقول والمعقول، حافظ للحديث، له حاشية على السلم في المنطق، وله "تقايد"⁽³⁷⁾. والشيخ مصطفى العجمي (ت1240هـ/1824م) من كبار فقهاء المالكية، نشأ بقسنطينة له "تكملة شرح الشنهوري".

والشيخ علي بن محمد الملي (ت1248هـ/1833م) فاضل متكلم من أهل ميلة قرب قسنطينة له "تحفة الأحباب" و"السيوف المشرفية"، و"الكواكب الدرية" في التوحيد و"علامات الساعة الصغرى"، و"الصوارم والألسنة"⁽³⁸⁾.

وأحمد بن سعيد العباس فقيه (ت1251هـ/1836م)، له مشاركة في علوم البلاغة والبيان وسير الرجال والمنطق والكلام من أهل قسنطينة، قال صاحب تعريف

الخلف: ((أخذ عن الشيخ حسين الشريف خطيب جامع الزيتونة وغيره، له تقايد على صحيح مسلم وعدة مؤلفات⁽³⁹⁾).

7- أعلام الجنوب الجزائري:

من أواخر الأعلام لآخر القرن الثاني عشر والثالث عشر في مدينة بسكرة قاعدة الزيبان والواحات؛ الشيخ محمد بن خمار الذي كون معهدا بمسجده المعروف الآن "سيدي الخنفري"، والشيخ الطاهر دالي علي، والشيخ شريف بن شريف⁽⁴⁰⁾.

والشيخ محمد بن أحمد بن يوسف البرجي (ت1233هـ/1818م)، فاضل من أتباع الطريقة الرحمانية له "رسالة المرید في قواطع الطريق" و"شرح الرسالة".

ومن أبرز علماء العصر في وادي ميزاب الفقيه الإباضي عبد العزيز بن إبراهيم التميني (ت1232هـ/1808م)، فقيه من كبار الإباضية في الجزائر، من كتبه "النيل" مجلدان، وهو عمدة الإباضية في العبادات والمعاملات.

ويوسف بن عدون (ت1223هـ/1808م) من دعاة الإصلاح في وادي ميزاب بالجزائر، من كتبه "حاشية على البيضاوي" و"أرجوزة في أسرار الشريعة" في بضعة آلاف بيت⁽⁴¹⁾. كذلك العالم الجليل ابراهيم بن بيهمان (ت1232هـ/1817م)، من بني يزقن تتلمذ على الشيخين الجليلين أبي زكرياء يحيى بن صالح وخاله ضياء الدين عبد العزيز

الثميمي، كان مؤلفا وشاعرا جليلا، وعالما حكيما وأديبا فيلسوفا ورحالة، من مؤلفاته: "مختصر المناسك ومهذب المسالك" و"الجواهر الثمينة"⁽⁴²⁾.

وأسهم إقليم توات في أدب الرحلات مساهمة واضحة، و لاسيما في القرن الثامن عشر. ومن أشهر الرحلات في هذا العصر رحلة عبد الله بن أحمد الفلاني إلى الديار (ت أوائل القرن الثالث عشر)⁽⁴³⁾، تحدث في رحلته عن المكوس والضرائب التي كانت تفرض على أهالي المنطقة، وأن الجامع لهذه الإتاوات كان يسمى "المخزن"، وذكر أيضا صمود الأهالي وبعض العوائل في وجه الظلم الذي فرض عليهم من خلال الضرائب والإتاوات التي أثقلت كاهلهم⁽⁴⁴⁾.

ورحلة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن إدريس التنايني (ت1233هـ/1818م)، له رحلة إلى الجزائر العاصمة (1231هـ/1816م)، زار فيها مدينة الجزائر، وتحدث عن عادات وتقاليد قبائل التقي بها في رحلته مثل الشعابنة وبني ميزاب وأهل أولاد نايل وغيرهم⁽⁴⁵⁾.

وفي ختام هذه الورقة البحثية، توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات نوجزها في الآتي:

- كان لفئة المرابطين والعلماء تأثير كبير في المجتمع الجزائري آنذاك، فقد حظيت هذه الفئة بالاحترام وبأوقاف حُصّصت للإنفاق على أضرحتهم، وأحسن دليل على

تطور أوقاف الأولياء والمرابطين، وهو العدد الكثير لأوقاف سيدي عبد الرحمان الثعالبي بمدينة الجزائر.

- في الجانب الثقافي انتشرت المؤسسات التعليمية، كالمساجد والزوايا ودور العلم في الحواضر والأرياف، حيث مست معظم شرائح المجتمع بالرغم من بعده عن السلطة المركزية، وبالنظر إلى عدد العلماء في هذه الفترة وما أسهموا به من مؤلفات في الثقافة العربية الإسلامية، كل ذلك يدعونا إلى القول بأن الخط البياني الثقافي في الجزائر كان يسير في حالة إطراد وصعود.

- انصب اهتمام العلماء على الفقه و التفسير والحديث، لهذا كانت الثقافة دينية أكثر منها أدبية، وهي الميزة التي صبغت الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني الذي تميّز في بعض الأحيان كذلك بتقلص الحياة العلمية وعدم الاهتمام بالعلماء، الأمر الذي أدى إلى هجرة الراغبين في العلم إلى المشرق، منهم من عاد ومنهم من لم يعد، كما انتشرت البدع وحلقات الذكر و الأوراد وتعددت الطرق الصوفية. و من ناحية أخرى يُعد تحمّل العثمانيين تبعات الانحطاط الثقافي في الجزائر حُكماً غير موضوعي، لأن الأمر كان عاما لم يخص الجزائر وحدها، فلو كانت الثقافة في بقية الأقطار الإسلامية لاستفاد منها الجزائريون. ثم أنه بالنظر إلى عدد العلماء في هذه الفترة وما ألفوا يتّضح أن الخط البياني للثقافة كان يسير في حالة إطراد وصعود، فقد عرف القرنان الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادي تشجيعا للتعليم واهتماما بالأوقاف وعناية بالعلماء والكتب، وانطبعت الحياة الفكرية بجهود علماء أفذاذ منهم أبو راس الناصري.

ورغم أن الطابع الثقافي كان نقليا أكثر منه عقليا، فإن الكثير من المؤرخين الغربيين يشهدون على انتشار التعليم في أوساط الجزائريين، الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادي.

الاحالات:

- (1) على سبيل المثال يراجع: أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 207ص.
- (2) حسب معيار ذلك العصر فالعالم الحق هو أن يكون عالما وفقهيا في دينه قبل دراسته أمور دنياه، لذا فكلمة علماء تعني رجال الدين بالمعنى الأدق. ينظر :
هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر، د.م.ج، الجزائر، 1995، ص 38.
- SHUVAL (T.), La ville d'Alger vers la fin du 18eme siècle, C.N.R. S, Paris, 1988, p120
- (3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، ج1، ط2، م، و، ك، الجزائر، 1985، ص388.
- (4) توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص37.
- (5) محمد ابن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973، ص48.
- (6) ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص.ص.256.257.
- (7) ينظر: الأرشيف الوطني الجزائري ، وثائق سجلات البايلك، علبة 36، سجل 343 (1811-1813) ، سجل يتضمن رواتب رجال الدين الرسميين مالكيين وحنفيين.
- (8) عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2007، ص78.

- (9) حمدان خوجة ، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص19.
- (10) جان قرطباوي، معجم مجاني الطلاب، الطبعة الثالثة، شركة الطبع والنشر والتوزيع اللبنانية، بيروت، لبنان، 1996، ص351.
- (11) حمدان خوجة، المرأة، مرجع سابق، ص19.
- (12) المرجع نفسه، ص20.
- (13) كضريح الولي الصالح سيدي يعقوب القريب من دار البارود القديمة الملاصقة لمخزن اللنجور ناحية البحر بمدينة الجزائر.
- (14) ابو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص255.
- (15) للمزيد أكثر حول حياة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي، أنظر: الحفناوي (محمد)، تعريف الخلف برجال السلف، ط2، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، 1985، ص1-70.
- (16) ناصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية الوقف والجباية في الفترة الحديثة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001، صص.277.278.
- (17) يحي بوعزيز ،أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1 دار الغرب الإسلامي، ج2، بيروت، 1995، صص230-225.
- (18) ناصر الدين سعيدوني ، من التراث الثقافي التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1999، صص.439-443.
- (19) نسبة إلى قرية بدائرة الأخرضية. أنظر:
- رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن 18 وبداية القرن 19م دراسة تحليلية نقدية، دار الملكية للطبع والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007، صص.12-71.
- (20) يحي بوعزيز ، أعلام الفكر والثقافة، مرجع سابق، ص233.
- (21) محمد الصالح الصديق ، أعلام من المغرب العربي، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، الجزء 1، 2000، ص13.

- حول حياة أبي راس الذاتية والعلمية، أنظر: محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حققه وضبطه محمد بن عبد الكريم الجزائري، تقديم د.أبو القاسم سعد الله، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990، ص21 وما بعدها.
- (22) ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والثقافي، مرجع سابق، ص460.
- (23) المرجع نفسه، ص.ص.461.462.
- (24) نفسه، ص470.
- (25) نفسه، صص.470.471.
- (26) نفسه، ص448.
- (27) أحمد ابن هطال، رحلة الباي محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الجزائري، تحقيق محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص.ص.13.14.
- (28) أحمد ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، الجزائر، 1973، ص78.
- (29) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971، ص115.
- (30) ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي، سبق ذكره، ص487.
- (31) نفسه، ص488.
- (32) نفسه، ص490.
- (33) نفسه، ص.ص.491.492.
- (34) عادل نويهض، المرجع السابق، ص152.
- (35) المرجع نفسه، ص24.
- (36) أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا داي، مرجع سابق، ص71.
- (37) عادل نويهض، المرجع السابق، ص150.
- (38) نفسه، ص.ص.123.206.

- (39) نفسه، ص24.
- (40) عبد الحليم صيد، أبحاث في تاريخ بسكرة، ط1، مطبعة سوف، الوادي، 2000، ص46.
- (41) خير الدين الزركلي ، ترتيب الأعلام على الأعوام، رتبه وعلق عليه زهير ظاظا، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج2، د.ت، ص663.
- (42) يوسف بن بكير ، تاريخ بني ميزاب، ط2، المطبعة العربية، غرداية، 2006، ص110.
- (43) عبد الله كروم ، الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، دار دحلب، الجزائر، 2007، ص91.
- (44) المرجع نفسه، ص92.
- (45) نفسه، ص64.

